أثر السعادة على المجتمع

كثير هي الدراسات التي تؤكد أن السعداء يحققون أعلى معدلات الأداء في العمل والعلاقات الإنسانية مقارنة بغيرهم، ويتمتعون بصحة نفسية أفضل وإيجابية وتفاؤل، وإقبال على الحياة؛ مما يزيد من معدلات التحسين في المجالات العامة، وزيادة معدلات الإنتاج، والنمو، مما يحقق دولة الرفاهية والمدينة الفاضلة التي يرجوها الأفراد وتسعى إلى تحقيقها المنظمات المدنية، والحكومات.

ويعكس هذا اهتمام الحكومات، والمنظمات، والمؤسسات حديثاً بإظهار قيم السعادة، ونشر ثقافاتها المختلفة، بوصفها أساساً مهماً لصنع القرار السياسي وجودة الحياة في المجتمع. يذكر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رئيس مجلس حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة :" كان وما زال لي اهتمام كبير بمفهومي السعادة، والإيجابية في الحياة، وتأثيرهما في الكثير من قراراتنا، وأحكامنا، وعلاقتنا بمن حولنا، ودورهما أيضاً في رؤيتنا للتحديات التي تواجهنا، وإسهامهما في الكثير من نجاحاتنا، وفي تحقيق الرفاهية، وجودة الحياة لنا كأشخاص، أو مجتمعات، أو كأمم وشعوب"(1).

أولاً : أثر السعادة في زيادة التنمية، والاقتصاد

بعد أن تحولت السعادة حديثاً إلى حالة ممارسة في الأعمال والحياة بشكل عام، ودخلت في سياسات الحكومات في كثير من الدول، إذ ثبت قوة تأثيرها في التنمية، والإنتاج ، والنمو الاقتصادي بشكل عام، ففي الدول المتقدمة تطبق ما يسمى بـ (اقتصاد المعرفة) [2]، وقد اتجهت كثير من الحكومات إلى خطوات فعالة، وناجحة مثل حكومة دولة الإمارات، وما تسعى إليه حالياً في ترسيخ قيم الاقتصاد المعرفي .

ولا شك أن السعادة من مفردات هذا الاقتصاد؛ فهي تساهم في نشر التفكير الإيجابي وزيادة معدلات العمل، والإنتاج، وجذب الاستثمارات، والتي بدورها تساهم في النمو الاقتصادي .

وحول علاقة السعادة بالنمو الاقتصادي تذكر الكاتبة " رهام عبد الرحمن" تحت عنوان : (اقتصاديات السعادة): " الشعوب الأكثر سعادة هي شعوب أكثر إنتاجية؛ فالشعوب السعيدة لا تحتاج الى رعاية الدولة من الولادة الى الوفاة، حيث تكون أكثر قدرة على خلق تنمية اقتصادية متوازنة وإلى نمو اقتصادي مستدام، ورفاه اجتماعي مشترك، والشعوب السعيدة تتمتع بحكومة فعالة وقطاع عام منتج وقطاع خاص مبادر وقوة بشرية مبدِعة ومبتكرة وريادية؛ فالمواطن السعيد يجد نفسه ضمن عقلية اجتماعية، أو تعليمية، أو تثقيفية تدفعه للسعي نحو الابداع، والابتكار، والريادة " [3].

ودلت دراسات عدة على أن السعادة تزيد إنتاجية الفرد في العمل، حيث تم تطبيق مبادئ السعادة في المؤسسات، لوحظ تقديم جهد أفضل، وتفانٍ أكثر من قبل الموظفين، حيث إن الموظف السعيد هو موظف متفائل، وقادر على حل جميع المشاكل بهدوء، وبعيداً عن التوتر، وهذا ما يزيد من إنتاجية العمل، وكفاءته[4].

وقد أكدت بعض الدراسات أن الرؤية الاقتصادية التي تقيس رفاهية المجتمع غير كاملة، وفي بعض الأحيان مضللة، واقترحوا (أن السعادة يجب أن تُؤخذ في الحسبان على أنها واحدة من العوامل الرئيسة لرفاهية المجتمع بالإضافة إلى المؤشرات الاقتصادية، والاجتماعية؛ وأنه يجب على السياسيين أخذ نتائج أبحاث السعادة مأخذ الجد)[5] .

وفي عام (2012) عقدت الأمم المتحدة بناء على مبادرة من دولة (بوتان) [6] اجتماعاً رفيع المستوى بعنوان : " السعادة، ورفاه المجتمع، والنموذج الاقتصادي الحديث" ، و تم اعتماد يوم 20 مارس من كل عام يوماً دولياً للسعادة اعترافاً بأهمية السعي للسعادة أثناء تحديد أطر السياسة العامة، والتنمية، والاقتصاد، وضرورة اتباع نهج أكثر شمولاً لتحقيق التنمية المستدامة[7].

مما لا شك فيه أن السعادة ذات تأثير فعال وإيجابي في زيادة معدلات الانتاج، والاقتصاد، والتنمية ، وأنها مفردة مهمة ضمن مفردات المؤشرات في ذلك.

وهذا ما أكده الأمين العام للأمم المتحدة، الذي عقّب على هامش الدورة الاستثنائية للجمعية العامة عام (2011) قائلاً إن :" العالم بحاجة إلى نموذج اقتصادي جديد يحقق التكافؤ بين دعائم الاقتصاد الثلاث: التنمية المستدامة، والرفاهية المادية، والاجتماعية، وسلامة الفرد، والبيئة، والذي تحققه السعادة العالمية"[8].

ثانياً : أثر السعادة في جودة الحياة

ينتمي مفهوم جودة الحياة إلى (علم النفس الإيجابي) والذي تزداد دراساته بشكل ملحوظ في الوقت الحالي. ويهدف مفهوم جودة الحياة إلى الاستمتاع بالظروف، والاحساس بحسن الحال، وإشباع الحاجات، والرضا عن الحياة، وصولاً إلى عيش حياة متناغمة ومتوافقة بين جوهر الإنسان، والقيم السائدة في المجتمع[9].

وقد أعد علماء النفس مجموعة أبعاد لتتوفر جودة الحياة من ضمنها: (توفر السعادة، والارتقاء النفسي، والتضمين الاجتماعي)[10].

وأظهرت دراسات عدة أن (السعادة تزيد الروابط الاجتماعية، وتشجع على التسامح،

وحب النفس، والآخرين) [11].

وتأكيداً على ارتباط السعادة بتحقيق جودة الحياة؛ فقد قامت حكومة دولة الإمارات بتعديل على مسمى وزارة السعادة ،فبعد تعديل التشكيل الوزاري في أكتوبر (2017) تم إضافة حقيبة وزارية جديدة لمنصب وزير دولة للسعادة؛ ليصبح (وزير دولة للسعادة، وجودة الحياة)[12].

كما اعتمدت حكومة دولة الإمارات أداة جديدة لتقييم أثر الخطط، والمبادرات الاستراتيجية المقترحة التي تقدمها الوزارات، والجهات الحكومية إلى مجلس الوزراء، تركز على " تقييم أثر هذه الخطط، والمبادرات في سعادة المجتمع، وجودة الحياة .. بمواءمة خطط الدولة، وبرامجها كافة لتحقيق سعادة المجتمع، والتي بدورها تحقق جودة الحياة"[13] .

وفي دولة " بوتان " عام (1971) صاغت الحكومة عبارة (السعادة القومية الإجمالية) وقد شددت على أن:" السعادة القومية الإجمالية هي أكثر أهمية من الناتج المحلي الإجمالي" [14].

ومنذ ذلك الحين، أثّر مفهوم (السعادة القومية الإجمالية) علي سياسيات (بوتان) الاقتصادية، والاجتماعية؛ فيؤكد المسؤولون أن بلادهم قد وضعت نظاما لقياس التقدم، لا يعد مفيداً فقط لوضع السياسات، ولكن من شأنه أيضا أن يحفّز الحكومة، والمنظمات غير الحكومية، والقطاع الخاص لزيادة (السعادة القومية الإجمالية).. ويتضمن مؤشرها : المجالات التقليدية للاهتمامات الاجتماعية، والاقتصادية مثل مستوى المعيشة، والصحة، والتعليم، فضلا عن الثقافة والصحة النفسية [15].

هذا وقد تأسست منظمة في دولة" السويد" تكرس نفسها لمساندة الفكرة، والترويج لها، ونشر الوعي بالسعادة وهي: (المنظمة العالمية للسعادة)، وتقدم نفسها بالقول: " التسليم أن السعادة هي شيء ثمين، فيجب أيضاً الأخذ في الحسبان العوامل التي تجعلنا سعداء، وكيف يمكن أن نعمل لكي نزيد من السعادة الشخصية، والقومية، والعالمية، لأنها تحقق النجاح، والتنمية، وجودة الحياة " [16].

وفي المملكة المتحدة (بريطانيا) أسس حزب العمال : " مجموعة العمل على الرفاهية بهدف الإتيان بالأفكار عن كيفية الحصول على المزيد من العقول السعيدة السياسية، وقد قدم الرئيس الفرنسي " نيكولاس ساركوزي" مع آخرين، تقريراً علمياً واسع النطاق، عن كيف يجب أن تكون عليه مقاييس الرفاهية الجديدة، وكيفية جعلها أفضل"[17] .

ومن جانب آخر قد ظهر مصطلح جديد ضمن مفاهيم علم النفس الإيجابي ، وهو (حالة التدفق) والتي تعني: " فناء الفرد في المهام، والأعمال التي يقوم بها فناءً تاماً ينسي به ذاته، والوسط، والزمن، والآخر كل الآخر"[18].

كأنه في حالة غياب عدا هذه المهام والأعمال على أن يكون ذلك مقترناً بحالة من النشوة، والصفاء، والابتهاج الدافع الذي له اتجاه المداومة، والمثابرة ليصل في نهاية الأمر إلى إبداع إنساني من نوع فريد تكون فيه المعاناة مرحباً بها . وهذا كله لا يكون إلا بعد تحقق السعادة أولاً فهي الدافع، والمحفز لحالة التدفق[19].

(1) محمد بن راشد آل مكتوم ، تأملات في السعادة والإيجابية ، ص 8.

(2) اقصاد المعرفة: مصطلح معاصر يراد به الاقتصاد القائم على المعرفة والبحث العلمي، وأكثر ما يستخدم عربياً في دولة الإمارات العربية المتحدة .

(3) رهام عبد الرحمن علي ، مركز الاقتصاد العربي، اقتصاد السعادة، الساعة 8 صباحاً، بتاريخ : 30 أكتوبر 2017 ، الرابط الالكتروني http://www.ar-economist.com

(4) دارين شيبر، صحيفة البيان، بتاريخ : 21 مارس 2018.

(5)دارين شيبر، المرجع السابق .

(6) **بوتان** : مملكة بوتان الواقعة في جنوب آسيا في الطرف الشرقي من جبال الهملايا المكان الأكثر عزلة عن العالم، التي قلما يرد ذكرها في وسائل الإعلام، بأنها أسعد بلد في آسيا، ووضعتها في المركز الثامن بين أسعد البلدان في العالم..(محمد الجابري، موسوعة دول العالم ،مؤسسة النيل العربية .د.ت، ص 186)

(7) الأمم المتحدة ، الموقع الرسمي للأمم المتحدة ، قرار الجمعية العامة (281/66) بتاريخ 28 يونيو 2012، بعنوان (السعادة ورفاهية المجتمع والنموذج الاقتصادي الحديث) .س8م ، تاريخ ، 5مارس 2018، الرابط: .http://www.un.org/ar/index.html

(8)الموقع الرسمي للأمم المتحدة، المرجع السابق.

(9) ابتسام الزويني وآخرون ، علم النفس الإيجابي، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط1، 2015م . ص ص 160 – 163.

(10) المرجع السابق، ص 162 .

(11) صحيفة البيان ، دارين شيبر بتاريخ : 21 مارس 2018.

(12) حكومة دولة الإمارات، البوابة الإلكترونية الرسمية لحكومة دولة الإمارات ، الصفحة الرئيسية، س 5ص ، تاريخ: 2فبراير 2018 ، الربط: https://government.ae/ar-AE

(13) حيدر إبراهيم علي ، صحيفة القدس العربي، لندن ، بتاريخ: 12 ديسمبر 2015 .

(14) محرك البحث الالكتروني (مغرس) ، من التنمية إلى السعادة في العالم العربي ، س8ص، بتاريخ : 5 يناير 2018، الرابط:

https://www.maghress.com/noonpresse

(15) محرك البحث الالكتروني (مغرس) المرجع السابق .

(16) المنظمة العالمية للسعادة ، الموقع الرسمي الالكتروني، س9م، تاريخ: 2يونيو 2018، الرابط : http://www.globalhappiness.com

(17) صحيفة الإمارات اليوم، س5م، تاريخ: 1يونيو 2018،الرابط: https://www.emaratalyoum.com

(18) عبد القادر بوعرفة، جودة الحياة بين الفلسفة والتكنولوجيا، س7م، تاريخ: 2يونيو 2018، الرابط الإلكتروني: http://bouarfah.jeeran.com/archive.html

(19) أحمد عكاشة، جودة الحياة والنسيج الاجتماعي، ورقة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر السنوي الخامس للمركز المصري للعلوم الطبية بالاشتراك مع، جامعة الأزهر وعنوانه : "نحو أعصاب سليمة". المنعقد في الفترة من 3 إلى 4 مايو 2007.